تمثيل اله الطقس على الاختام الاسطوانية

في الدور الأكادي [1]

تعريب وتلخيص الاستاذ علي أبو عساف

إن تمثيل إله ما في أي دور من الادوار يتغير ويتعرض للتبديل على الدوام ، وقد اضحت هذه الظاهرة أمراً مألوفا بالنسبة للباحثين في تاريخ ديانات بلاد غربي آسيا ، اذ كثيرا ما نرى أن رمز إله ما قد دل على إله آخر أو أنه استعمل لعدة آلهة في آن واحد . زد على ذلك أن طبائع الالهة وصفاتها ليست ثابتة بل متغيرة ، وأن لهـــا عدة رموز . ولكن حتى حين يطرأ تغير كبير على تمثيل الاله ، تبقى بعض الرموز الدالة عليه ثابتة لا تتغير خلال قرون طويلة من الزمن ، وهذا مـــا يدفعنا في كثير من الاحيان الى الاستعانة بتمثيل بعض الالهة المعروفة ، على تفسير تمثيل آلهة اخرى مشابهة لهـا ولكنها اقدم منها . وبالتالي فان هذا التفسير يساعدنا على تعريف الالهة المقصودة بالتمثيل . وعلى سبيل المثال نقول أن تمثيل اله الطقس في الدور البابلي القديم ، وهو يقف على التنين (الدراكون) ويمسك بيده شيئاً يرمز الى البرق ، قد اتخذ كبرهـان على تعريف آلهة ممثلة على اختام اسطوانية من الدور الاكادي

(١) يرجى الرجوع إلى المقال الأصلي في القسم الأجنبي فيما يتعلق بالهوامش والملاحظات والأشكال .
(المعرب)

وهي واقفة ايضاً على التنين . وقد قام الاستاذ فرانكفورت بجمع تلك الاختام ودراستها تحت عنوان : Weather God ، ولكن خلال أكثر من ربع قرن مضى على دراسة فرانكفورت قام كثيرون بنشر أختام أخرى مشابهة صنفت أيضاً تحت نفس العنوان ، وآخر من جمع تلك الاختام هو الدكتور بومر ، وقد ضمها الى اطروحة الدكتوراه التي عالج بها تطور اسلوب النقش على الاختام الاسطوانية الاكادية ، وسوف اعتمد على هذه الاطروحة في تصنيف مجموعة الاختام الاسطوانية الاكادية التي تمثل اله الطقس والتي هي موضوع بحثنا هذا .

يوجد ثلاثه أختام من العصر الاكادي (Ic) وترينا الاولى إله الطقس وهو يرتدي تاجا مزينا بقرنين (غير مرسوم راجع الفهرس) ورداء رافلا ويضع قدمه على جناح التنين ، بينما يلقي بيده اليمنى على صدره ويمد اليسرى الى الأمام .

لقد رسم في الجزء الثانوي من المشهد أشكال متشابكة تؤلف أسدين يهاجمان عنزاً واقفاً بينهما ويحاولان افتراسه . يتخذ اله الطقس موقف المتفرج في هذا المشهد ولا يدافع عن الحيوان الأليف كما يفعل الأبطال أو كما تفعل الآلهة الثانوية ، الا أن وقفته قد توحي للناظر بأنه يتحفز للوثوب والمشاركة في الصراع . إن تمثيل إله الطقس على الختم الثاني (الختم رقم ٢) غير واضح ولكن يمكن لنا أن نتعرف على الاله الذي يتنكب السوط ويقف على التنين المهاجم من قبل الإنسان الثور .

وقبل أن نتابع استعراضنا لبقية الاختام ، لابد لنا من الاشارة الى ناحية تستحق الذكر هنا وهي أننا نعرف العديد من الاعمال الفنية التي تعود الى دور فجر السلالات والتي نقش عليها رسوم آلهة تقف على التنين الذي مثل على أشكال عديدة تختلف ظاهرياً عن أشكال التنين في الدور الاكادي . ويختلف التنين الذي نعرفه في الدور الاكادي عن تنين نين ـ كيزادا ومردوك . وكذلك فان التنين الاكادي الذي يختلف عن الشكل البدائي للتنين في الادوار السابقة لم يرسم على نمط واحد ، بل رسم على أشكال مختلفة اختلافا بسيطا سوف نبينه في سياق هذا البحث . ومع هذا فان للتنين في الدور الاكادي انموذجاً موحداً ، يجب أن يعتبر رمزاً لإله الطقس ، بغض النظر عن عدم وجود رموز أخرى تشير الى اله الطقس مثل الختم (رقم ١ ورقم ٢) .

لقد رسم على الختم الثالث (رقم ٣) في الوسط تنين فاغر فاه ، مريش العنق وله مقادم وجسم الأسد . بينما نرى أن بقية أعضاء الجسم على شكل أرجل وأجنحة وذنب الطير الكاسر ، ويلاحظ أن الاجنحة قد نبتت من الجسم . يقف إله الرعد على التنين وله ذقن طويلة ويرتدي ثوبا رافلا ويمسك بيده اليمنى دبوسا ويحيط به رذاذ من المطر . يتشفع أمامه وخلفه الإلهان أقل منه أهمية ويرتديان قبعتين اسطوانيتين وثوبين رافلين . يشاهد المرء فوق اليد اليمنى التي يحي بها الاله الأمامي هلالا وبين الاله الخلفي والتنين نبتة نمت بسبب سقوط المطر . يمثل المطر والنبتة فكرة قديمة عرفناها ممثلة على اناء الوركاء الشهير ، غير أننا نعتقد بأن لكلا الفكرتين دوافع ومرامي خاصة بها . هنا يقف الالهان متشفعان أمـــام الاله الاعظم من أجل المطر الضروري لاحياء الاعشاب . يستجيب الاله الاعظم ويسقط المطر وتنبت الاعشاب . ان هذه الحادثة لدليل كبير على صفات الاله الذي يظهر كإله للخصب والقوى الطبيعية .

هذا بالنسبة الى المرحلة الاولى من الدور الاكادي ، أما بالنسبة الى المرحلة الثانيه فان التطور يستمر ونرى إله الطقس (الختم رقم ٤) واقفا على التنين مثل ما كان عليه الحال بالنسبة الى الختم رقم ٣ وهو يحي بيده اليمني ، بينما يتقدم منه اله آخر أقل منه مرتبة ، ليتشفع عنده لاله يقوده وراءه . يرتدي الإلهـان ثوبا فضفاضا ويقف ورائهما شخص ثالث . يرى المرء هلالا ونجما الى جانبي رأس إله الطقس . ان لهذا المشهد مثيلا على الختم رقم ٥ الذي مثل عليه تنينين يخفضان رأسيهما الذين يشبهان رأس الاسد . وفيما عدا الاطراف الامامية فإن بقية أعضاء جسميهما شبيهة بجسم طير جارح . ويختلف هذان التنينان عن التنين الممثل على الختم رقم ٢ لأن أجنحتهما نابتة من الكتف . يقف على كل تنين إله ، ونشاهد على ظهر التنين الأيمن إله الرعد الذى يرتدي ثوبا رافلا ويتسلح بالدبوس والسوط . يتقدم الى الآلهة رجل وامرأة متشفعين ويرتدي كل منهما معطفا مهدبا . يقدم الرجل عنزاً بينما تقدم المرأة سطلا . . يقف بين آلهة البرق والشخصين المتشفعين في الأعلى شيطان له رأس الاسد ، ويمسك بيده اليمني ، دبوسا بينما نشاهد تحته تنينا يسقط من عل .

يمثل إله الطقس على الختم ٣ قوى الطبيعة المدمرة والخيرة، وتظهر مع إله الرعد على الختم ٥ ولأول مرة آلهة البرق التي تقاسمه وظائفه ولا تساويه في المنزلة بل تتبع له ولذلك يجب علينا أن ننظر إلى المشهد كـكل. (انظر الختم رقم ١٣ و ص ٩١ — ٩٢). ويقدم لنا الختم رقم ٦ مشهداً مماثلاً تقريباً، إذ يقف إله الرعد هنا على التنين وهو يتنكب الدبوس، بينما تلتفت اليه امرأة عارية لا تحمل رمزاً للبرق بل جعبة . لقد مشطت شعرها إلى الوراء فعقدته فوق العنق. يرى أمام الموكب اله يجثو على ركبة واحدة ويصارع ثوراً، إنه لا يصلي من أجل المطر بل يذبح الثور قربانا حتى يزول الجفاف . يبين الختم رقم ٧ اختلافاً بسيطاً بالنسبة إلى الختمين ٥ و ٦، إذ يقف اله الرعد على التنين ويمسك باليد اليمنى على دبوس وباليسرى على السوط، بينما تلوح آلهة البرق برمز البرق بكلتا يديها وهي تقف أيضاً على التنين. يقف بينهما شيطان بجسم انسان ورأس حيوان ولا يحمل في هذه المرة الدبوس، (انظر الختم رقم ٥)، بل يرتدي مئزراً ونشاهد وراءه انساناً صغيراً يرفع بيده اليمنى مصلياً ولا يمكن لنا اثبات هويته. ويقف كذلك أمام آلهة البرق رجل آخر وهو يصلي أيضاً . يشاهد المرء إلى اليسار من المشهد إلهاً مجنحاً يدوس على عدو منبطح على الأرض ويمسك بكلتا يديه على شعر عدوين آخرين . يظهر هذا المنظر الأخير من المشهد عادة مع صور شمس، إلا أننا نعلم بأن لإله الطقس صفة حربية أيضاً وربما أريد اظهارها هنا بواسطة هذا المنظر . وإذا ألقينا نظرة على الأختام ثلاثة وستة وسبعة من جديد، نرى أن الآلهة تصلي من أجل المطر (الختم ٣) أو تذبح الثور رمز الجفاف (الختم ٦) وتصرع أعداء البلاد (الختم ٧)

يرينا الختم ٨ تنينين من نفس النوع الذي عرفناه على الأختام السابقة، وهما يسيران الواحد وراء الآخر ورأسيهما منخفضان يشبه لسان كل تنين اللهب، وإذا أمعنا النظر به نرى أنه يشبه رمز البرق الذي تلوح به آلهة البرق التي تقف على التنين وترتدي ثوباً ضيقاً . ولكن هذا لا يدعونا إلى الاعتقاد بأن آلهة البرق والتنين معاً تمثلان صفات إله الطقس. والأجدر بنا أن نقول: التنين يمثل الصاعقة التي يحدثها البرق، بينما تمثل الآلهة البرق اللامع في السماء فقط . بضع الاله

الواقف على التنين الثاني قدمه على جناح التنين ويرتدي ثوباً رافلاً وتاجاً ذي قرنين . يمسك بيده اليمنى عصاه وفي اليسرى دبوس . يتقدم الموكب إله ملتح يرتدي قبعة اسطوانية الشكل وثوباً قصيراً ويتنكب سلاحاً يشبه سلاح الآله . يمثل هذا المشهد بعناصره المختلفة إعصاراً مدمراً .

بقي من الأختام المنسوبة إلى العصر الأكادي (II) الختم رقم ٩ الذي يرينا مشهداً من نوع جديد . إذ نرى أن تنيناً شبيهاً بالطائر يجر عربة تقف عليها امرأة ترتدي ثوباً طويلاً ذا ثنيات . يشبه هذا المشهد الممثل على الختم رقم ١٠ . إن هذا المشهد واضح ويبين لنا أن امرأة تسوق العربة . غير أن الختمين رقم ١١ و ١٢ أوسع موضوعاً وأكبر مشهداً . إذ مثلت صلاة من أجل المطر على الختم رقم ١١ . وإلى اليمين من المشهد يقف كاهن حليق الرأس يرتدي ثوباً مهدباً ويصب الماء فوق مذبح مدرج موضوع عليه قربان . وتنتصب على التنين الذي يجر عربة آلهة عارية تمسك بيدها على أشياء يصعب تعريفها وتحديد نوعيتها . إنها ليست حجابها التي اعتادت أن تظهر به فيما بعد على أختام اسطوانية من سورية وكبدوكيا تعود إلى النصف الأول من الألف الثاني ق.م . إذ أن الحجاب في هذه الحالة يكون ملتصقاً بالجسم على عكس ما هو عليه بالنسبة إلى الختم رقم ١١ ، حيث نجد أن هذه الأشياء مرتبطة بالأعنه أو بعريش العربة ، ولا تشبه رموز البرق التي تلوح بها المرأة العارية أو الآلهة كما هي ممثلة على الأختام الاسطوانية التي ورود وصفها ، لذلك يبدو لي من شكلها أنها تمثل سقوط المطر (انظر أرقام ٣ و ١٣)

لقد اكتفى الجوهري هنا بجعل لسان التنين ممثلا للبرق وهذا ما يدعو إلى الاعتقاد بأن التنين أخذ يحل محل آلهة البرق . ومثل الاله كحوذي يقود عربة يجرها التنين . يلبس الاله تاجاً ذا قرنين وثوباً طويلاً ذا ثنيات وله ذقن ويمسك بيده اليسرى السوط رمز الرعد . إن لهذا المشهد علاقة وثيقة بعبادة آلهة الامومة التي أحيطت بالمطر مسبب الخصب فآلهة الأمومة ليست منجبة للأطفال فقط بل هي رمز الخصب أيضاً . ولا يجب أن نربط بين هذا المشهد

والاعتقاد الأقدم بالحياة والموت . إذ أريد هنـــا الدلالة على صفات إله الطقس التي هي إنزال المطر مسبب الخصب ، وبنفس الوقت احداث الرعـــد والبرق والأعـــاصير المسببة للدمار والخراب .

لا يختلف الختم رقم ١٢ عن سابقيه ، ونرى هنا الهاً يرتدي تاجاً ذي قرنين وجبة وله لحية يصلي أمام العربة بدلا من الكاهن ، ونرى كذلك أن آلهة البرق التي ترتدي ثوباً ضيقاً وتمسك بكلتا يديها على رموز البرق واقفة على التنين وتحمل جعبة أسلحة .

يقدم لنا الختم رقم ١٣ مشهداً مشابهاً لمـــا شاهدناه على الختم رقم ٦ . إذ نرى هنا إله يجثو على ركبة واحدة ، يرتدي تاجاً ذا قرنين وحزاماً ، ويطعن بخنجر ثوراً كبيراً تحوم فوقه امرأة ترتدي ثوباً ذا ثنيات ، وتبسط ذراعيها إلى الجانبين وقد مشطت شعرها إلى الوراء وعقدته في العنق . يتساقط المطر حول هذه المرأة بينما يقف وراءها إله الطقس الذي يرتدي تاجاً ذا قرنين وثوباً ذا ثنيات وله لحية . يقف هذا الاله على التنين وهو يتنكب الدبوس والسوط ويمسك بيده اليسرى على العنان ، ونشاهد وراءه رجلاً صغيراً رسم فوقه هلال يضم قرص الشمس . رسم إلى يمين المشهد رمز يشبه زهرة عود القصب ويشكل مع علامات الكتابة إطاراً يضم المشهد الذي يجب أن ينظر اليه كأسطورة ذات عناصر متعددة ولكنها لاتفصل عن بعضها .

إن المرأة الممثلة هنا ليست آلهة أو بالأحرى ليست لها مميزات الآلهة . إن دورها ذو صلة وثيقة بدور إله الرعد ، فالاثنان يتممان بعضها فالاله يجلب الريح التي تسبقة كالعربة . والبرق رسوله يسبقه وهو هنا لسان التنين بينما يكون التنين نفسه الاعصار . فاله الطقس هو الذي ينزل المطر على الارض ، والمرأة لا تستطيع انزال المطر بل هي أحسن ما يمثل الخصب الذي يحدثه المطر . (انظر ايضا الاختام رقم ١،٥) ، واله الطقس هو الذي يحدث البرق والرعد والاعاصير أيضا ، (الختمان ١و٢) لذلك فان الفصل بين إله الرعد أو الطقس وبين آلهة المطر أو البرق لا يساعد على حل المعضلة ، ولكن اذا اعتبرنا ان اله الرعد أو الـه الطقس وأن آلهة المطر أو البرق مرتبطة ببعضها وجمعت معا بمشهد واحد عن قصد ، يسهل علينا الوصول الى تفسير واضح لجميع المشاهد .

يرينا الختم رقم ١٤ تنينين يسيران وراء بعضهما ويمدان لسانيهما اللذين يشبهان اللهب رمزا للبرق . تقف على الأول آلهة عارية رسم امام رأسها هلال ، بينما يقف على الثاني إله الطقس الذي يحمل بيده اليمنى دبوسا . ويرى المـــرء بينهما نجمة وامامهما إله ؟ أو كاهن يقدم عنزاً كضحية كما رأينا على الختم رقم ٥ . لا تلوح الالهة برمز البرق في هـذا المشهد فهي لا تحتاج دوما الى التلويح به ، طالمـــا انها تابعة لإله الرعد ومعبرة عـن بعض صفاته التي قد تتغير من حالة الى أخرى . بقي علينا اخيرا أن ننظر الى الختمين رقم ١٥ و ١٦ . مشهد الختم رقم ١٥ غير واضح ولكن يمكن للمرء أن يتعرف على إله الطقس الذي يقف على التنين ، ويتشفع امامه كاهنان يرتديان ثوبين طويلين . ان اغرب هذه الاختام الختم رقم ١٦ ، اذ نرى إله الطقس واقفا على التنين الاول مرتديا ثوبا طويلا ذا ثنيات وتاجـا ذا قرون ، بيده اليمنى سلاحا ؟ وباليسرى سوطا . أما الالهـه التي ترافق إلـه الطقس عـادة فتقف على التنين الثاني وهي تمد بيديها الى الجانبين وترتدي ثوبا طويلا ذا ثنيات وتاجـا تنبعث منه ثلاثة خطوط متوازية الى كل جانب . رسم نجم بين الآله والآلهه ، ورسم انسان طائر وهو يرفع بساقه أمام إله الطقس .

واذا القينا نظرة على كافة الاختام نرى أن المشاهد الممثلة عليها ذات موضوع واحـد رغم اختلاف الاشخاص الممثلة ورغم تعدد المشاهد ، فاله الطقس يحمل احيانا (الاختام ١٣ و ١٤) الدبوس والسوط كرمز للبرق ، ونراه حينا آخر محاطا بالمطر (الختم ٣) ويكون التنين الذي يقف عليه أو يجر عربته رمـز إعصاره الشديد كما تصفه لنا الاساطير . فالاساطير والاناشيد وغيرها تصف إله الطقس على انه الاعصار المـدمر وإله الحرب وإله الخصب ، فله اذن صفات عديدة بينـت بوضوح من خـلال المشاهد التي درسناهـا . لا يسبب تعددها الذي يقصد منه تبيان الصفـات العديدة لاله الطقس أي تفكـك في وحدة الموضوع ، الذي يدور حول إله واحد يظهر بعـدة مظاهر ، ولا يمكن تسميته الا إله الطقس ، فلذلـك يجب أن أوضح هنا بأن التعبير « إله الرعد » غير صالح ويجب التخلي عنه .

أما الهة البرق أو المطر التي ترافق إله الطقس دوما أو تحل محله (الاختام ٩ و١٠) فهي ليست آلهة مستقلة ، بل تحمل رمز برق اله الطقس أي رسوله الذي يسبقه فهي تمثل بعض الظواهر الطبيعية التي يسببها إله الطقس . وهي بدورها هذا شبيهة بالتنين الذي يمثل اعصار إله الطقس . إن الجوهري الذي نقش هذه الأختام قد جمع هذه المشاهد عن قصد ونوع أشخاصها ليبرز صفات إله الطقس المتعددة .

ملاحظة :

اعتقد الدكتور هنري فرانكفورت بعد دراسة المشاهد الممثلة على بعض اللوحات الآشورية التي تعود إلى القرن الثامن ق.م (أنظر Scharf Andrea, Die Kunst des alten Orients S. 540) إن التنين عدو لإله الطقس بينما رأت السيدة فان بورن (Orientalia 15, S. 1 — 45) أن التنين ليس عدو إله الطقس بل رمزاً للخصب . قد ينطبق تعبير فان بورن هذا على التنين بصورة عامة ، أما التنين الذي يرافق إله الطقس في الدور الأكادي فلا يمكن أن يكون عدو إله الطقس أو رمزاً للخصب ، بل يمثل إحدى الظواهر الطبيعية التى يحدثها إله الطقس .

علي أبو عساف